ChatGPT

مقدمة

يتناول هذا التقرير نصّ "حقّ الزوجة" من رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، مستعرضًا شرحًا لغويًّا للنصّ، وبيان المعاني العامّة والمقاصد الأخلاقية التربويّة الواردة فيه، ثمّ استنباط الدلالات الفقهيّة، يلي ذلك تقديم خلفيّة عن المؤلّف ونصّ الرسالة ومكانتها في تراث أهل البيت، وختامًا تأمّلات معاصرة في تطبيق مضمون حقّ الزوجة في الحياة الزوجيّة اليوم.

الشرح اللغوي للنص

يبدأ النصّ بعبارة شائكة تحتاج تدقيقًا: **«حَقّ رَعِيَّتِكَ بِمِلْكِ النِّكَاحِ».** كلمة الرعية هنا تعني من هو خاضع لإمرة الزوج ضمن علاقته الزوجية (وكأنّ الزوجة "كأنّها في رعاية" زوجها)، وملك النكاح صياغة تعبيرية تعني حوزة الزواج أو إطار العلاقة الزوجية. تالية ذلك نقرأ «جَعَلَها اللّهُ لَكَ سَكَنًا وَ(مُ)سْتَرَاحًا وَأُنْسًا وَوَاقِيَةً»: **سكن** بمعنى مأوى وطمأنينة نفسية (كما في قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا))، و**أنس** بمعنى المودّة والأنس والأنس برفقة الزوجة. وجاءت بعض الروايات بـ«مستراحًا» كمرادف للسكن، و«واقيةً» بمعنى حصنًا أو واقٍ (أي: واقية من العيوب والرذائل). ثمّ يشير إلى أن هذه الألفة والطمأنينة نعمة إلهية: «وأنّ ذلك نِعْمَةٌ مِنْ اللّهِ عَلَيْكَ»، فيلزم على الزوج تكريمها (أو إكرامها) والإحسان إليها بلطف ورفق. وجاء لاحقًا «وإن كانَ حَقُّكَ عَلَيْها أَوْجَبَ فَلَها عَلَيْكَ حَقُّ الرَّحْمَةِ والمُؤانَسَةِ...»، أي إنّ طاعة الزوج من جهة زوجته أمر واجب، لكنها مع ذلك لها حقٌّ عليه في الرحمة والإحسان (لأنّها «أَسيرُك»: بمعنى مَن تحت رعايته)؛ فيتضمّن النصّ أمرًا بعدم الأذية: «فَتَطْعِمُهَا وَتَكْسُوها، فَإِذا جَهِلَتْ عَفَوْتَ عَنْها» (أي: إذا قصّرت الزوجة أو أخطأت، فعليه أن يعفو وينسى).

باختصار، يكثر النصّ من الألفاظ التي تعبّر عن المودة والرفق: «سكن وأنس» (هدوء وألفة)، و«تكريم ورفق»، و«رحمة ومؤانسة»، و«عفو». كما يستخدم صيغة المبالغة للدلالة على وجوب العناية بالزوجة مع عدم نسيان أنها موضع عاطفة ورحمة من الزوج.

المعنى العام والمقاصد الأخلاقية والتربوية

المعنى العام للفقرة أنّ الزوجة قد جعلها الله تعالى سكناً وأنساً للزوج، أي مصدرَ راحة ونفَسٍ في حياته. فالمقصد الأخلاقي الرئيسي هو غرس روح **الامتنان** وشكر النعمة الزوجية: إذ يرشد الإمام الزوج إلى شكر الله على نعمة الزوجة (قال: «يَجِبُ أَنْ يَحْمَدَ اللّهَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْهِ» [1]). ويتكامل هذا مع توجيهات تربوية أخرى، تتمثل في **الإحسان والمعاملة الطيّبة** . فالزوج مأمور بـ(وفق النص) تكريم الزوجة، والإحسان إليها بلطف ورفق، لا سيما مع علمه أن مزاج العلاقة قائم على المودّة والرحمة والستر (كما يوضّح تعليق تفسير الرسالة: «صلة النفس بالنفس، صلة السكن والقرار، صلة المودّة والرحمة، صلة الستر والتجمّل» [2]).

وهذه المقاصد تحمل دلالات تربوية حول كيفية بناء الحياة الزوجية: إذ إن استقرار الأسرة وصلاحها متوقف على المعاملة الحسنة والرفق بين الزوجين، والابتعاد عن القسوة والتذمر، والاعتراف بأن كل منهما نعمة للآخر. وفي الختام ورد في النص توجيه للتسامح عند العثرات: فإذا جهلت الزوجة بمعنى زلّت أو أخطأت، يُعفون عنها بدلاً من العقاب، دلالة على أن الستر والصفح خير من التنفير.

بمجموع هذه النقاط، يُلخّص المعنى العام في دعوة إلى **العشرة الحسنة** والاعتراف بأن علاقة الزوجين ركنٌ أساسي يقوم على الشكر والرأفة والمحبة المتبادلة [2] [1] .

الدلالات الفقهية

ينطوي النص على العديد من الإشارات الفقهيّة المتعلقة بحقوق الزوجة وواجبات الزوج في الشريعة الإسلامية. أهمّها:

- **النفقة والإسكان:** يندرج في ذلك واجب الزوج على توفير مسكن مناسب للزوجة ونفقة كافية من طعام ولباس وكهرباء وعلاج وغيرها، قدر المستطاع. فقد أوجبت الآيات أن يُسكن الرجال أزواجهم من حيث سكنوا، وألا يضارّ الزوجةَ [3] . ونجد صدى ذلك في حديث عن الإمام الصادق (ع): «يسدُّ جوعَها، ويُسْتُرُ عورتَها، ولا يقَبِّحُ لها وجهَهُ» [4] ؛ أي أنّ حقّها عليه في أن يكفّ جوعها ويكسوها وأن يحسن إليها.

- **المعاملة بالمعروف:** دلت عبارة "فتكرمها وترفق بها" على وجوب العشرة بالحسنى، وهو من المراتب الفقهية المؤكدة في الكتاب والسنة (كالقرآن الكريم: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)). وقد ذمّ النصّ ضمائر التطاول والإهانة بكلمات نابية بحق الزوجة. فالإسلام يحرم إيذاء الزوجة بالنطق أو الفعل، ويسنّ في المقابل التودد والرفق حتى لو كان الزوج غضبانًا (قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «خيركم خيركم لأهله» [5]).

- **الطاعة والولاية:** بين النصُّ أن للزوج حقوقًا على الزوجة (غير ظاهر ذكرها لكنه فُهم من ذكر الطاعة)، إذ ورد «وإن كان حقّك عليها أوجب» أي أنّ طاعة الزوج (في غير معصية) واجبة لها. وفي الوقت نفسه شدّد على حدود هذه الطاعة بقوله «ما لم تكن معصية»، وهو مبدأ شرعي معروف: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق". وهذا يعبّر عن توازن شرعي بين حق الزوج وحرمة فرض الأوامر المَنْهيّة.

- **العفو والستر:** يظهر النصّ تشجيعًا صريحًا للصفح عن الأخطاء الزوجية. فعندما يذكر «إذا جَهِلَتْ عَفَوْتَ عنها» فهو يحثّ الزوج على أن يعفو عن عثرات زوجته، وهي دلالة فقهية نبّهت إليها التعاليم الإسلامية بأن وضع الزوجة أمانة وليس لعبًا، فيستحيل تعريضها للمعاقبة المفرطة.

بناءً على هذه الدلالات، يمكن استنباط أن الشريعة تولّي الزوج حقّ **النفقة المادية والمعاملة الحسنة** على زوجته أهمية قصوى، وأنه مُلزَمٌ بالإنفاق والمعاشرة والعدل، ولا يبيح له الشرع إيذاءها أو إثارة مشاعرها بالسوء. وما ورد في الحديث المعصومي المتضمن «يشبعها ويكسوها وإن جَهِلَت غُفر لها» [4] يؤكّد هذه الحقوق باعتبارها شرعًا من موجبات الإحسان.

الخلفية العامة للمؤلِّف والنص ومكانته في تراث أهل البيت

الإمام علي بن الحسين زين العابدين (المعروف بالسجّاد عليه السلام) هو الإمام الرابع عند الشيعة الإثني عشرية، حفيد النبي محمد صلى الله عليه وآله. عاصر واقعة كربلاء (حوالي سنة 61 هـ) وبرز بعد ذلك في الدعوة إلى الإسلام بصوت الحكمة والدعاء. من أشهر آثاره رسالة الحقوق، التي بيّنها في كتاب «خصال الشيعة» للشيخ الصدوق بسند معتبر، ورُوِيَت كذلك مرفوعة في كتاب «تحف العقول» للحسن بن علي بن شعبة [6] .

رسالة الحقوق هي منظومة أخلاقية تشكّل «مصدرًا حقوقيًّا» شاملًا في الفكر الإسلامي. فقد أوردها أحد التلامذة (الصدوق) واعتُبِرت من جملة آثاره العلمية، وقد اجتمع عليها نُخَبُ المتخصّصين. وثبُت في كتاباته أنها تضمّ 50 مادة حقوقية (من حقوق الله، وحقوق النفس، واللسان، والسمع، والبصر، والرجلين، واليدين، والبطن، والفرج، ثمّ حقوق الأعمال كالصلاة والصوم والحج والصدقة... إلى حق أهل الذمة) [7] [8] . وقد أشار شيخ الطائفة السيد الصدر الطنطاوي إلى عظمة هذه النصوص فقال: «ما نقف إلى الآن على أثرٍ قيمٍ خالِدٍ في مواريث النبي وآلِ البيت؛ وإنّها فوق كلام المخلوق» [9] .

ولا غرو في مكانة هذه الرسالة بين تراث أهل البيت، فقد اعتبرها المشتغلون بمعارف الحقوق خير دليل على حقوق الإنسان في الإسلام: «لا غنى لكلّ باحث في حقوق الإنسان من الاطّلاع على هذه الرسالة الخالدة» [10] . إنها إذن وثيقة مميزة أودعها الإمام زين العابدين ليعرف المسلم حقوق الله تعالى ونفسه وجوارحه على الإنس، وحقوقه على أخيه الإنسان، بما في ذلك الحقوق الزوجية.

التأمّلات المعاصرة في تطبيق مفهوم حق الزوجة

تظلُّ دعوة الإمام إلى تقدير حق الزوجة وتعزيز المودة والرحمة بين الزوجين صالحة لمعايشنا المعاصر. فمفهوم «الزوجة سِكْنٌ وأُنْسٌ» يذكّر بأن على الحياة الزوجية اليوم أن تبنى على **الأمن النفسي والعاطفي** ؛ فالزوج مدعوٌّ لجعل بيته مقرًّا للطمأنينة والسكينة الزوجية، والزوجة رفيقة درب تتطلب الودّ والاحترام. وإن شكر الله على نعمة الزوجة [1] يعني عمومًا مراعاة مساندتها نفسيًّا ومهنيًّا ومعنويًّا في زمننا؛ ففضلٌ عظيم كالزواج يستوجب تقديرًا عمليًّا، كتهيئة المناخ المناسب لحياة مشتركة.

من زاوية تطبيقية، يمكن أن نوجّه الاهتمام حاليًا إلى:
- **التواصل والتفاهم:** فهمَ نصّ الإمام يشمل التعايش برحمة؛ فالزوج المعاصر مطالب بالاستماع والتراحم، خاصة في أوقات الضيق أو الخلاف.
- **تحمّل المسؤولية المادية والمعنوية:** الرسالة تحثّ الزوج على القسط المتوازن من النفقة والإحسان؛ وهذا ينسجم مع أنظمة اليوم التي تشجّع على التعاون في المصروفات المنزليّة، أو دعم الزوجة اجتماعيا ومهنيًا حين تحتاج.
- **المساواة والعدل:** بالرغم من اختلاف العصر، تظلّ المساواة في المودة والاحترام مبدأ ثابتًا. وقد نستلهم من المعنى العام ألا يتعامل الزوج مع الزوجة على أنّها مجرد "ملك"، بل شريكة حياة تساوي الزوج في الكرامة والاحترام.
- **التسامح عند العثرات:** إذ تحدثت النصوص عن العفو عند الهفوات الزوجية، فينبغي اليوم أن يطبق الزوج (والزوجة أيضًا) مبدأ التسامح وانعدام التشهير بالأخطاء الصغيرة؛ فإن ذلك من أساسيات المعاشرة المعاصرة الناجحة.

بتلخيص، يعلّمنا الإمام زين العابدين أن العلاقة الزوجية مبنية على الشكر والرفق والمحبة؛ ويتجلّى هذا في العصر الحديث بالاحترام المتبادل والرحمة العملية: زوجٌ يعتني بزوجته ويعاونها، وزوجةٌ تفهم دوره وتقدّره أيضاً. فهذه المبادئ الخالدة تستمر ضوابط إرشادية لإنجاح الحياة الزوجية في كل زمان ومكان [1] [11] .

المراجع: تُستند هذه الأفكار إلى نص الإمام زين العابدين نفسه في رسالة الحقوق [11] [1] والتعليقات الموثّقة عليه [2] ، مع مراعاة ثوابت الشريعة والسيرة النبوية والأئمة عليهم السلام [6] [12] [8] .

---

[1] [4] [5] حق الزوجة
https://almerja.com/more.php?idm=242623

[2] [3] شبكة المعارف الإسلامية:حقوق الزوجة
https://www.almaaref.org/maarefdetails.php?id=1268

[6] رسالة الإمام زين العابدين (ع) في الحقوق - الشيعة
-https://ar.al-shia.org/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D9%85
-D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AC%D8%A7%D8%AF-%D9%81%D9%8A%
/D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%82%D9%88%D9%82%

[7] [10] [12] رسالة الحقوق التي وضعها الإمام زين العابدين | مركز الإشعاع الإسلامي
-https://www.islam4u.com/ar/maghalat/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9
-D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%82%D9%88%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A%
-D9%88%D8%B6%D8%B9%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D9%85%
D8%B2%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%A8%D8%AF%D9%8A%D9%86%

[8] [9] علي زين العابدين - ويكيبيديا
/https://ar.wikipedia.org/wiki
D8%B9%D9%84%D9%8A_%D8%B2%D9%8A%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%A8%D8%AF%D9%8A%D9%86%

[11] شبكة المعارف الإسلامية:كفّ الأذى في الأسرة
-https://almaaref.org.lb/post/2825/%D9%83%D9%81%D9%91-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B0%D9%89
D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D8%A9%